

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح منظومة القواعد الفقهية

تعريف بالناظم:

هو العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من كبار علماء الجزيرة العربية في هذا العصر، ولد بعنيزة سنة ١٣٠٧ هـ، وتوفي بها سنة ١٣٧٦ هـ.

تعريف القواعد الفقهية:

القاعدة في اللغة الأساس، وجمعها قواعد، وهي أسس الشيء وأصوله، سواء كان حسيًا كقواعد البيت، أو معنويًا كقواعد الدين أي دعائمه.

والقاعدة اصطلاحًا: قضية كلية منطبقة على جزئيات كثيرة من أبواب متفرقة، وهذا تعريف القاعدة في جميع العلوم.

والقاعدة الفقهية اصطلاحًا: قضية كلية فقهية منطبقة على جزئيات كثيرة من أبواب متفرقة

أو نقول: هي جملة تفيد وحدة الحكم بين مسائل فرعية من أبواب متفرقة.

وإنما قلنا: "جزئيات كثيرة" لأن هذه القواعد أغلبية، الحكم فيها على المجموع لا على الجميع، فقد تشذ بعض الفروع عنها.

فوائد دراسة القواعد الفقهية:

١ - أنها تضبط للفقيه المسائل، وتنظمها في سلك واحد، فهي وإن تشعبت أفرادها يستطيع أن يلم شعثها، ويستحضر أحكامها.

٢ - أنها تمكن الفقيه من معرفة أحكام المسائل النازلة والحوادث المستجدة، وذلك بتطبيق القاعدة، والنظر في مدى انطباقها على المسألة.

٣- أن معرفة القواعد يحفظ الفقيه من الوقوع في التناقض.

٤- أنها تعين في معرفة مقاصد الشرع الحكيم.

٥- تُغني عن حفظ أكثر الجزئيات، وتُسهل حفظ أحكام الفروع.

الفرق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية:

تتفق القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية في أن كلاً منهما قواعد تندرج تحتها جزئيات، لكن يظهر الفرق بينهما من وجوه أهمها:

- ١- موضوع القواعد الأصولية الدليل والحكم مثل: الأمر للوجوب، أما القاعدة الفقهية فهي قضية أغلبية جزئياتها بعض مسائل الفقه، وموضوعها فعل المكلف.
- ٢- القواعد الأصولية قواعد كلية تنطبق على جميع جزئياتها، بخلاف القواعد الفقهية فهي أغلبية، والحكم فيها يكون على أغلب الجزئيات، ويستثنى منها بعض المسائل.
- ٣- القواعد الأصولية وسيلة لاستنباط الأحكام الشرعية العملية، أما القواعد الفقهية فهي وسيلة لضبط المسائل المشتركة في الحكم تحت سقف واحد.

الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي:

الأصل أن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد، فالقاعدة أوسع مجالا من الضابط؛ لأن الضابط الفقهي ينحصر نطاقه في باب واحد، أما القاعدة الفقهية فيتجاوز نطاقها إلى أكثر من باب، وهذا قول جمهور العلماء.

والضابط الفقهي اصطلاحاً: قضية كلية فقهية يدخل تحتها مسائل تختص باب واحد.

أو نقول: هي جملة تفيد وحدة الحكم بين مسائل فرعية من باب واحد.

ومن أمثلة الضابط الفقهي: "كل ماء مطلق لم يتغير فهو طهور"، و"يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب"، فكلا المثالين المذكورين يختص بباب فقهي واحد فقط.

ومن أمثلة القاعدة الفقهية: "الأمور بمقاصدها"، و"اليقين لا يزول بالشك".

حجية القاعدة الفقهية:

الأصل أنها غير حجة - على الصحيح -، فلا يستنبط منها حكم شرعي، إذا لم تكن دليلاً شرعياً كقاعدة: "لا ضرر ولا ضرار"، أو معبرة عنه، كقاعدة: "الأمور بمقاصدها"، وذلك لأن هذه القواعد ثمرة للفروع المختلفة وجامع لها ورابط بينها، ولا يصح جعل ما هو ثمرة دليلاً لاستنباط أحكام الفروع.

وجامع الأشياء والمفرق

١. الحمد لله العليّ الأرفق

الشرح

قوله: "الحمد لله"

معنى الحمد

الحمد هو: الثناء على الله تعالى بصفات الكمال ومحاسن الأمور من الأقوال والأفعال.

وقوله: "العلي"

معنى اسم

الله (العلي)

اسم من أسمائه سبحانه وتعالى، سمي به نفسه سبحانه وتعالى في كتابه؛ فقال:

﴿وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١).

وقوله: "الأرفق"

معنى الأرفق

أفعل تفضيل من الرفق الذي هو التأنى في الأمور والتدرج فيها، ومن صفات الله تعالى أنه رفيق بعباده، رؤوف رحيم بهم.

وقوله: "وجامع الأشياء والمفرق"

أي أن الله تعالى يجمع بحكمته وقدرته الأشياء، وكذلك بحكمته وقدرته يفرق بينها، وهذا مما يعتني به علم القواعد الفقهية؛ ولذا فإن قوله: "وجامع الأشياء والمفرق" فيه براعة استهلال من الناظم - رحمه الله -.

(١) البقرة - آية: ٢٥٥.

٢ . ذي النعم الواسعة الغزيره والحكم الباهرة الكثيره

الشرح

قوله: "ذي النعم"

أي صاحب النعم، والمنعم بها.

وقوله: "الواسعة الغزيرة"

وصف لهذه النعم أنها واسعة غزيرة، أي في نهاية السعة والكثرة، كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ ^(١).

وقوله: "والحكم الباهرة الكثيرة"

الحكم: جمع حكمة، وهي وضع الأشياء في مواضعها، ومن أسماؤه تعالى الحكيم، فإنه -جل وعلا- لا يقول ولا يفعل إلا الحق، فلا يقع منه عبث ولا باطل، بل كل ما يخلقه، أو يأمر به؛ فهو تابع لحكمته.

وقوله: "الباهرة الكثيرة"

أي أن هذه الحكم لكثرتها تبهر العقول، وتتعجب منها غاية العجب.

على الرسولِ القُرشيِّ الخاتمِ
الحائِزي مراتبِ الفَخارِ

٣. ثم الصلاةُ مع سلامٍ دائمٍ
٤. وآله وصحبه الأبرارِ

الشرح

قوله: "ثم الصلاةُ مع سلامٍ دائمٍ"

الصلاة في اللغة: الدعاء^(١).

والصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، وتشريفه له، وزيادة تكريمه، ورفع ذكره، ومنزلته ﷺ.

والصلاة من الملائكة الدعاء والاستغفار، وسؤالهم من الله أن يثني عليه، وأن يزيده تشريقاً وتكريماً، وكذا الصلاة من الآدميين. والسلام: بمعنى التحية.

وقوله: "دائمٍ"

أي مستمر غير منقطع.

(١) انظر: "تاج العروس" (٤٣٨/٣٨).

وقوله: "على الرسول القرشي"

نسبة إلى قريش القبيلة العربية المعروفة.

وقوله: "الخاتم"

أي أنه خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ

رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾^(١).

وقوله: "وآله"

معنى الآل

آل النبي ﷺ هنا هم: أتباعه على دينه إلى يوم القيامة^(٢).

وقوله: "وصحبه الأبرار"

تعريف

المراد بهم: أصحاب النبي ﷺ، وصحب جمع صاحب، والصحابي هو: من رأى النبي ﷺ وصحبه ولو ساعة، أو لحظة مؤمناً به، ومات على ذلك.

الصحابي

قوله: «الأبرار»

جمع بر، والبر هو المطيع.

وقوله: "الحائزي مراتب الفخار".

وصف لأصحاب النبي ﷺ حيث حازوا ونالوا المراتب الفاخرة العالية.

(١) الأحزاب- آية: ٤٠.

(٢) انظر: "شرح النووي على صحيح مسلم" (١٢٦/٤).

- ٥ . اعلم - هُديتَ - أن أفضلَ المِنَنِ علمٌ يزيلُ الشكَّ عنكَ والدَّرَنُ
٦ . ويكشفُ الحقَّ لذي القلوبِ ويوصلُ العبدَ إلى المطلوبِ

الشرح

وقوله: "اعلم - هُديتَ - أن أفضلَ المِنَنِ ... علمٌ ..."

العلم من
أفضل النعم

قدَّم الناظم - رحمه الله تعالى - منظومته ببيان فضل العلم الشرعي والاشتغال به، وذلك ليكون هذا حافزاً للطالب حال قراءة هذه المنظومة.

وقوله: "علمٌ يزيلُ الشكَّ عنكَ والدَّرَنُ"

آثار العلم
النافع

هذه بعض آثار العلم النافع أنه سبب لزوال الشكوك عن المتعلم، وحصول اليقين عنده.

قال الناظم - رحمه الله - في شرحه: "وعلازمة كون العلم نافعاً ما ذكرت من النظم: أنه يزيل عن القلب شيئين: الشبهات والشهوات، فالشبهات تورث الشك، والشهوات تورث درن القلب وقسوته، وتثبط البدن عن الطاعات" (١).

وقوله: "ويكشفُ الحقَّ لذي القلوبِ"

معناه: أن من ثمرة العلم أنه يوصل العبد إلى الحق الذي طلبه الله؛ فيسير في عباداته، ومعاملاته، وسائر شؤونه على هدى، وبصيرة، لا على جهل وعماية.

(١) "القواعد الفقهية المنظومة وشرحها" (ص ١٠٨).

قوله: "ويوصلُ العبدُ إلى المطلوبِ"

فالعلم يوصل العبد إلى الغاية التي ينشدها ويسعى إليها، وهي عبادة الله تعالى وفق ما أمر، والوصول إلى مرضاته، والفوز بدار كرامته.

- ٧ . فاحرص على فهمك للقواعد جامعة المسائل الشوارد
 ٨ . لترتقي في العلم خيرَ مُرتقى وتقتني سُبُل الذي قد وُفِّقا
 ٩ . وهذه قواعدُ نظمتها من كُتب أهل العلم قد حصَّلتها
 ١٠ . جزأهم المولى عظيمَ الأجر والعفو مع غفرانه والبرِّ

الشرح

قوله: "فاحرص على فهمك للقواعد"

يوصي طالب العلم بالحرص على فهم القواعد الفقهية لما لها من عظيم الفائدة، والتي قد سبق ذكر شيء منها في المقدمة.

وقوله: "جامعة المسائل الشوارد"

وصف للقواعد بأنها تجمع شوارد المسائل المتفرقة بكلام تأصيلي جامع لشتاتها، كما تقدم في المقدمة. والشوارد: هي المتفرقة المتباعدة المتناثرة.

وقوله: "لترتقي في العلم خيرَ مُرتقى وتقتني سُبُل الذي قد وُفِّقا"

هاتان ثمرة من ثمرات تعلم علم القواعد:

ثمرات تعلم

القواعد

• الأولى:

أن العالم بالقواعد يرتقي في العلم مرتقى علياً حين يقعد القواعد ويضبطها، ويبنى عليها الفروع ويطبّقها.

• الثاني:

أن العالم بالقواعد يقتني سبيل وأثر من وفقهم الله لإدراك العلم النافع من العلماء المتقدمين، والمتأخرين.

وقوله: "وهذه قواعد نظمها من كُتِبَ أهل العلم قد حصَّلتها" إشارة من الناظم إلى أنه ليس له دور في هذه القواعد إلا نظمها وجمعها هنا. وأما تأصيلها وتقعيدها فقد حصله من كتب أهل العلم الذين قبله.

قوله: "جزأهم المولى عظيم الأجر والعفو مع غفرانه والبر" دعاء من الناظم لمن استفاد منهم، وأخذ عنهم هذه القواعد.

القواعد الفقهية الكبرى

الأهم بمقاصدها

لا ضرر ولا ضرار

اليقين لا يزول بالشك

المادة محكمة

المشقة تجلب التيسير